

تفسير البحر المحيط

@ 471 @ هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين ، فأتى
البنيان من الأساطين بأن تضععت ، فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه : من حفر لأخيه جبا
وقع فيه منكبا . ومن القواعد لابتداء الغاية أي : أتاهاهم أمرًا من جهة القواعد . وقالت
فرقة : المراد بقوله : فخرّ عليهم السقف من فوقهم . جاءهم العذاب من قبل السماء التي
هي فوقهم ، وقاله ابن عباس . وقيل : المعنى أحبط أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط
بنيانه . قال ابن عطية : وهذا ينجر إلى اللغز . ومعنى قوله : من فوقهم ، رفع الاحتمال
في قوله : فخرّ عليهم السقف ، فإنك تقول : انهدم على فلان بناؤه وليس تحته ، كما تقول
: انفسد عليه ، وقوله : من فوقه ، ألزم أنهم كانوا تحته انتهى . وهذا الذي قاله ابن
الأعرابي قال : يعلمك أنهم كانوا جالسين تحته ، والعرب تقول : خر علينا سقف ، ووقع
علينا سقف ، ووقع علينا حائط إذا كان يملكه . وإن لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم
ليخرج هذا الذي في كلام العرب فقال : من فوقهم ، أي : عليهم وقع ، وكانوا تحته فهلكوا ،
فأتاهاهم العذاب . قال ابن عباس : يعني البعوضة التي أهلك بها نمرود ، وقيل : من حيث لا
يشعرون ، من حيث ظنوا أنهم في أمان . وقرأ الجمهور : بنيانهم ، وقرأت فرقة بنيتهم .
وقرأ جعفر : بيتهم ، والضحاك : بيوتهم . .
وقرأ الجمهور : السقف مفردا ، والأعرج السقف بضمين وزيد بن علي ومجاهد ، بضم السين
فقط . وتقدم توجيه مثل هاتين القراءتين في وبالنجم . وقرأت فرقة : السقف بفتح السين
وضم القاف ، وهي لغة في السقف ، ولعل السقف مخفف منعه ، ولكنه كثر استعماله كما قالوا
في رجل رجل وهي لغة تميمية . ولما ذكر تعالى ما حل بهم في دار الدنيا ، ذكر ما يحل بهم
في الآخرة . ويخزيهم : يعم جميع المكاره التي تحل بهم ، ويقتضي ذلك إدخالهم النار كقوله
: { رَبِّ سَنَدًا إِنَّكَ مَن تُوَدُّ خَلِّ الذَّارَ فَقَدَدُ أَخْزَ يَتَهُ } أي أهنته كل الإهانة
 . وجمع بين الإهانة بالفعل ، والإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله : يخزيهم .
ويقول : أين شركائي ، أضاف تعالى الشركاء إليه ، والإضافة تكون بأدنى ملابس ، والمعنى :
شركائي في زعمكم ، إذ أضاف على الاستهزاء . وقرأ الجمهور : شركائي ممدودا مهموزا
مفتوح الياء ، وفرقة كذلك : تسكنها ، فسقط في الدرج لالتقاء الساكنين . والبزي عن ابن
كثير بخلاف عنه : مقصورا وفتح الياء هنا خاصة . وروي عنه : ترك الهمز في القصص والعمل
على الهمز فيه وقصر الممدود ، وذكروا أنه من ضرورة الشعر ، ولا ينبغي ذلك لثبوته في هذه
القراءة ، فيجوز قليلا في الكلام . والمشاقة : المفاداة والمخاصمة للمؤمنين . وقرأ

الجمهور : تشاقون بفتح النون ، وقرأ نافع بكسرهما ، ورويت عن الحسن ، ولا يلتفت إلى تضعيف أبي حاتم هذه القراءة . وقرأت فرقة : بتشديدها ، أدغم نون الرفع في نون الوقاية . والذين أوتوا العلم ، عام فيمن أوتي العلم من الأنبياء ، وعلماء أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعطونهم ، فلا يلتفتون إليهم ، وينكرون عليهم . وقيل : هم الملائكة ، وقاله ابن عباس . وقيل : الحفظة من الملائكة . وقيل : من حضر الموقف من ملك وأنسي ، وغير ذلك . وقال يحيى بن سلام : هم المؤمنون انتهى . ويقول أهل العلم : شماتة بالكفار وتسميعاً لهم ، وفي ذلك إعظام للعلم ، إذ لا يقول ذلك إلا أهله { الَّذِينَ تَتَوَفَّوْنَهُمْ } الملائكة طالعهم أي أنفسهم { تقدم تفسيره في سورة النساء . والظاهر أن الذين صفة للكافرين ، فيكون ذلك داخلاً في القول . فإن كان القول يوم القيامة فيكون تتوفاهم حكاية حال ماضية ، وإن كان القول في الدنيا لما أخبر تعالى أنه يخزيهم يوم القيامة ويقول لهم ما يقول قال أهل العلم : إذا أخبر الله تعالى بذلك أن الخزي اليوم الذي أخبر الله أنه يخزيهم فيه ، فيكون تتوفاهم على بابها . ويشمل من حيث المعنى من توفته ، ومن تتوفاه . ويجوز أن يكون الذين خبر مبتدأ محذوف ، وأن يكون منصوباً على الذم ، فاحتمل أن يكون مقولاً لأهل العلم ، واحتمل أن يكون غير مقول ، بل من إخبار الله تعالى . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون الذين مرتفعاً بالابتداء منقطعاً مما قبله ، وخبره في قوله : فألقوا السلم ، فزيدت الفاء في الخبر ، وقد يجيء مثل هذا انتهى . وهذا لا يجوز إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يجيز : زيد فقام ، أي قام . ولا يتوهم أن الفاء هي الداخلة